التعدد اللغوي في دول المغرب العربي قضاياه ومشكلاته
Multilingualism in the Maghreb, its issues and problems

أ .د. محمد مدور*
جامعة غرداية. الجزائر

Meddour Mohammed
Univ Ghardaia Algeria
meddour.medj@gmail.com

تاريخ استلام المقال:2022/12/19	تاريخ القبول: 2022/12/21	تاريخ النشر:2023/03/15

ملخص

تتميّز اللغة بمجموعة مظاهر منها التنوّع والتعدد والازدواج والأحادية والتداخل والنمو الخ . واللغة العربية تخضع لهذه المظاهر ، وفي وسط ذلك تسعى الدول الكبرى إلى وحدانية اللغة حفاظا على وحدتها الوطنية .

تتناول هذه الدراسة قضية التعدد اللغوي في المنطقة المغاربية وتأثيراتها الإيجابية والسلبية ، وهذا التباين في التأثيرات يطرح أمامنا إشكالية أساسية ،وهي محاولة الكشف عن مظاهر التعدد اللغوي ومشكلاته ، وأبرز قضاياه في الساحة المغاربية ، ودراسة المواقف المؤيدة أو الرافضة .

وتهدف الدراسة إلى بيان مسالك التعدد الذي أفرزته الأوضاع التاريخية والتعدد المصنوع الذي صنعته الإيديولوجيا

- بيان أثر التعدد على وحدة التفكير
- التعدد سلاح تستعمله القوى الكولونيالية لتقسيم الشعوب
- التعددية داعمة للغة العربية الجامعة
- إبراز حتمية التعايش بين اللغات

الكلمات المفتاحية : التعدد اللغوي؛ التعايش اللغوي؛ المغرب العربي؛ مشكلات التعدد .

Abstract

Language is characterized by a set of manifestations, including diversity, plurality, duality, monism, overlapping, growth, etc. The Arabic language is subject to these manifestations, and in the midst of that the major countries seek to unite the language in order to preserve their

* **المؤلف المرسل:** محمد مدور **البريد الإلكتروني:** meddour.medj@gmail.com

.national unity
This study deals with the issue of multilingualism in the Maghreb and its positive and negative effects. This difference in influence poses a fundamental problem before us, which is an attempt to reveal the manifestations of linguistic pluralism and its problems, and its most .prominent issues in the Maghreb arena, and to study the positions of support or rejection
The study aims to clarify the paths of pluralism that resulted from historical situations and the plurality made by ideology
Explanation of the effect of polygamy on unity of thought
Diversity is a weapon used by colonial forces to divide peoples
Pluralism supportive of the universal Arabic language
Highlighting the inevitability of coexistence between languages
Keywords: multilingualism; linguistic coexistence; the Arab Maghreb; pluralism problems.

1. مقدمة

العالم متعدد اللغات، والإنسان قد يجد نفسه وسط تعدد لغوي يتحتم عليه التعامل معه بحكم قوة تلك اللغات العلمية والمعرفية والاقتصادية، فتكون البداية من اقتراض المصطلحات وتداولها، ومن ثم ينشأ التعدد وينمو، ينشأ أولا في المستوى العامي، ثم ينتقل تدريجيا إلى مستوى الفصيح بحكم الاستعمال.

التعدد اللغوي ظاهرة عامة معروفة لدى معظم شعوب العالم، ومن الصعب أن تجد دولة تتحدث بلغة واحدة، وقد يتخذ التعدد اللغوي بعدا منفتحا على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي، وقد أقر القرآن الكريم قيمة التعدد اللغوي حينما أشار إلى اختلاف الألسنة، وجعله آية من آيات الله.

ويرتبط الفرد بقوميته وبلغة قومه، ويتفاعل من خلال الانتساب إلى أمة معينة ووطن معين، وما يجمع بينهما من رابط القومية ، فالأمة هي الجماعة المستقلة في إقليم محدد يشترك أعضاؤها في الولاء لها، ويجمع بين أفراد الأمة قيم مشتركة وتاريخ مشترك .

وفي هذه الدراسة نتناول قضايا التعدد اللغوي وأسبابه مشكلاته في بلدان المغرب العربي مع الاقتصار على الدول الأربع تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، ومن أبرز القضايا التي نتناولها : ترسيم التعدد ، والتعليم في ظل التعدد، وصلة التعدد بوحدة التفكير، وصلته باللغة الوطنية والقومية والهوية الوطنية، وتأثير العولمة والاقتصاد والكولونيالية على التعدد اللغوي، وآثاره الايجابية والسلبية على المجتمع إلى غير ذلك من المشكلات.

 E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

وينبغي الإشارة إلى أن التعدد هو شيئ طبيعي في ثقافة الشعوب ويلاحظ في عديد من الدول التي تتعدد أعراق سكانها أن عددا كبيرا من السكان يتحدثون بلغتين أو أكثر بدرجة واحدة من الكفاية، ويطلق على هؤلاء مصطلح (Bilinguals مزدوجو اللغة) إذا أتقنوا لغتين فحسب و (Multi Linguals متعددو اللغة) إذا أتقنوا أكثر من لغتين، والصفة ذاتها تطلق على المجتمع فيقال : مجتمع مزدوج اللغة أو متعدد اللغة(عبد العزيز،2009، ص149).

2. تعريف مصطلح التعدد اللغوي :

هو عبارة عن استعمال لغات عديدة داخل مجتمع معين، والشخص المتكلم متعدد اللغات هو الذي يستعمل مجموعة لغات، لأغراض تواصلية داخل جماعة معينة، فالتعدد اللغوي أمر واقع يجسد الانفتاح على الثقافات الأجنبية لتوسيع دائرة التفكير اللغوي بما يخدم اللغة الوطنية. أما الازدواجية اللغوية فهي كما عرفها وليام مارسي بقوله : (هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث) ،الازدواجية Diglossie = لغة نموذجية + لغة محكية، أما الثنائية Bilinguisme فهي ثنائية اللغة ، ويقصد به وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد(بن يشو، 2014، ص49).

3.أسباب التعدد اللغوي :

تتعدد أسباب التعدد وبواعثه ومن أهمها :

3 .1 الاستعمار : فالملاحظ أنه عندما يغزو شعب ما أراض جديدة فإنه يفرض ثقافته ولغته على الشعوب المستعمرة مثل : البريطانية والفرنسية والبرتغالية حديثا، فالاستعمار هو من أهم أسباب التعدد اللغوي، إذ أن أغلب المستعمرات تعيش وضعية التعدد اللغوي، ولهذا سعت الكثير من الدول بعد استقلالها إلى محاولة تحقيق الاستقلال اللغوي، واستمر المستعمر في فرض لغته لترسيخ قيمه الحضارية والثقافية، وإضعاف روح المقاومة لدى الشعوب المستعمرة، يقول جون كالفي : " وفي العمق تظل الفكرة الأساسية، هي أن الفرنسية هي لغة الحضارة، بل لغة أيضا للجميع، التي يتكلمها في إفريقيا 10 % من السكان نحاول فرضها عليهم" (العشيري، 2016، ص60).

3. 2 العوامل الاقتصادية : تسهم العوامل الاقتصادية في خلق مجتمع متعدد اللغات، حيث تؤدي هذه الأوضاع إلى هجرة عدد من السكان إلى بلدان أخرى لتحصيل الرزق ، وبعد الحرب العالمية الثانية ارتفع الطلب على اليد العاملة في أوروبا مما نتج عنه تعدد لغوي في أغلب هذه الدول، فهناك

خمسة وعشرون بلدا أوروبيا لها لغات رسمية وحيدة، وإلى جانبها أقليات لا تحظى لغاتها بنفس الحقوق التي تحظى بها اللغات الرسمية، وقد أسهمت العمالة الأجنبية في انتشار ظاهرة التعدد اللغوي لدى كثير من الدول التي شهدت إقبالا كبيرا بما في ذلك بعض الدول العربية والخليجية منها على وجه الخصوص .

3. 3 التهجير القسري : وهو نوع من الهجرات الإكراهية نحو البلاد الأخرى، يسهم في إعادة تشكيل المشهد اللغوي، وأسباب هذه الهجرة كثيرة فقد يكون التهجير القسري الجماعي بدافع اقتصادي، كما فعلت بعض القوى الاستعمارية، للحصول على اليد العاملة الرخيسة، وقد يكون التهجير لغرض سياسي كتهجير الفرنسيين لبعض الجزائريين إلى كاليدونيا الجديدة، وقد يكون لغرض سياسي استيطاني كما حدث في البوسنة وألبانيا، وكما حدث لشعوب القوقاز في عهد ستالين، وقد تكون الهجرة القسرية بسبب الظروف المناخية والبيئية، مثل الجفاف والمجاعات والأوبئة والحروب، كل هذه الممارسات تؤدي إلى ظهور التعدد اللغوي.

3. 4 العامل الديني : يعتبر الدين من أهم الأسباب في خلق مجتمع متعدد اللغات، والأمثلة كثيرة سواء في العصور القديمة أو الحديثة، وقد عرفت كثير من المناطق الإسلامية الأعجمية تعددا لغويا ناتجا عن اعتناق الإسلام، بعد إقبالهم على اللغة العربية، خاصة بعد فتاوى فقهية تحرم التعبد بغير اللغة العربية أو تكرهه، لذلك نجد اللغة العربية في مجتمعات شرق إفريقيا، فأهل الصومال يستعملون لهجة اليمن لغة ثانية، ولهجة عمان العربية تستعمل في زنجبار، إلى جانب السواحلية. وسادت العربية أيضا في شمال إفريقيا فحلت العربية محل اللهجات البربرية أو تعايشت معها، والملاحظ أن الأقليات الدينية وخاصة التي تملك كتابا مقدسا أو التي تمارس طقوسها الدينية بلغات خاصة تسعى إلى الحفاظ على لغاتها، كما هو الحال عند بعض الجاليات الإسلامية في الدول الأوروبية والأمريكية(العشيري، 2016، ص62). وتستعمل العربية في موريتانيا إلى جانب لغات أجنبية كالفرنسية ولهجات محلية كالحسانية .

4.الوضع اللغوي في الدول المغاربية :

4. 1 الوضع اللغوي بالمغرب العربي منذ القدم :

قبل الفتح الإسلامي كانت اللغة الكنعانية الفينيقية (البونيقية) القرطاجية هي اللغة المكتوبة لغة العبادة والدواوين والثقافة ، محاطة بلهجات قحطانية بربرية شفوية، يقول هنري باسي : (إن البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب، ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة

 E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

سبعة عشر قرنا وهو أمر عظيم، يقول ويليام مارسيه : (إن البونيقية كانت لغة الدوناتيين (المسيحيون الأمازيغ)، ومعنى هذا أن دخول العربية مع الإسلام جاء ليخلف اللغة العربية القديمة بلغة عربية حديثة طورها الإسلام(سعدي، ص161).

4. 2 التعدد اللغوي في الجزائر:

يتشكل التعدد اللغوي في المجتمع الجزائري من العربية وعامياتها والبربرية وتنوعاتها والفرنسية، وتحل العربية والأمازيغية في مرتبة واحدة في المستوى الرسمي، حيث تم مصادقة البرلمان على الأمازيغية كلغة رسمية إلى جانب اللغة العربية ، وهذا يرسخ شعار الهوية الوطنية المكون من : الإسلام والعروبة والأمازيغية ، أما الفرنسية فلها نفوذ واسع في مجال الإدارة والصحافة والتعليم وغيرها، وقد سعت القوى الكولونيالية إلى إذكاء نار الفتنة بالتحريض على مناهضة القومية العربية والتعريب والمناداة بالقومية الأمازيغية ومساواتها بالقومية العربية ، وإلى جانب ذلك هناك ازدواجية لغوية لم تمنع من تماسك وحدة المجتمع ، فلغة الأم عند الناطقين هي العربية بينما لغة الأم عند الأمازيغيين هي اللغة البربرية.

والجزائر بلد عربي شمال افريقي، تعاقبت عليه الحضارات منذ القدم، وتداخلت فيه اللغات، واختلطت فيه الأجناس من عرب وأمازيغ وأفارقة وفينيقيين وقرطاجيين ورومان ووندال واسبان وأندلسيين وأتراك وفرنسيين، وامتزجت الثقافات أمازيغية وعربية وإسلامية وإفريقية ومتوسطية متنوعة الروافد ، ثرية البيئة والجغرافيا ، يكشف هذا الامتزاج عن ذلك التنوع ممثلا في واقع معيش ولغات يومية ومدركات ومعتقدات، وفي الموروث المادي وغير المادي، وفي تنوع الطبوع الموسيقية وفي المأكل والملبس والمعمار والرقص والعادات والشعائر والأعياد، كل ذلك في إطار من التعايش والانفتاح والتسامح .

يتميز المجتمع الجزائري بتعدد لغوي، وتنوع لهجي بين العربية والأمازيغية، هاتان اللغتان متعايشتان متجاورتان منذ الفتح الإسلامي، على الرغم من الاختلاط الكبير بين الشعبين، وإقبال الأمازيغ على تعلم العربية واستعمالها، وقد قام الدستور بترسيم الأمازيغية لتصبح لغة وطنية رسمية إلى جانب العربية ، لتأكيد التنوع اللغوي في المجتمع الجزائري .

والمازيغية هي لغة قديمة في شمال إفريقيا، " وهي تنحدر من الفصيلة اللغوية الحامية، إلى جانب كل من اللغة المصرية القديمة والكوشية " (بولعوالي، ص71). ولها لهجات منتشرة في شمال

افريقيا، وفي الجزائر نجد منها القبائلية والشاوية والميزابية والتارقية وغيرها، فاللغة المازيغية واحدة وإن تباينت لهجاتها، وإن خارطة الجزائر اللغوية تتوزع على أربعة نظم لغوية، عامية عربية – أمازيغية – فصحى عربية – فرنسية. والعربية هي لسان الدين الإسلامي تتميز بحضورها القوي في الإدارة إلى جانب الفرنسية التي تحاصر العربية والمازيغية على حد سواء .

ولقد سعى المستعمر الفرنسي إلى القضاء على العربية الفصحى، وجعل العامية العربية لغة حية، وجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية، إلا أن السياسة اللغوية الوطنية تبني الهوية الوطنية على المكونات اللغوية والدينية (الإسلام والعروبة والأمازيغية)، كما ينص على ذلك دستور 1996م ، واستطاعت بذلك أن تحبط المخطط الاستعماري، وتميز المجتمع بهذا التعدد والتنوع في الاستعمال، وأن المغاربة جميعا عربا وبربرا تعلموا العربية وفكروا بها واستعملوها لغة تعليم وثقافة وتجارة وإدارة، ونبغ علماء أمازيغ في علوم العربية لغة ونحوا وأدبا وفقها وصنفوا الكتب نذكر منهم ابن معطي وابن آجروم،وفي الوقت نفسه احتفظت البربرية بتراثها الفني في الشعر والغناء والموسيقى، وبمكانتها لهجة للخطاب لملايين السكان في الجزائر والمغرب وتونس وليبيا(غلاب، ص155). ولقد تأثرت الجزائر بالتدخل الكولونيالي في أمر اللغة، حيث خطط المستعمر لمحاربة اللغة الفصيحة، ودعا إلى استعمال العامية، ومن الجذور الأولى لهذه الدعوة إقامة كرسي (اللغة المغاربية) في مدرسة اللغات الشرقية بفرنسا ابتداء من سنة 1920 ، وقد لعبت هذه المؤسسة دورا أساسيا في توجيه وليم مارسي وجورج كولن، وكانا ينشران الدعوة إلى العامية في فرنسا والجزائر والمغرب، وقد عملا بوضوح على قطع الصلة بين العامية والعربية التي دعوها العربية الكلاسيكية، وكالوا لها النقد ونسبوا إليها الانغلاق الفكري والتخلف الحضاري.

أما اللغة الفرنسية فهي تحظى بالمرتبة الأولى في تعليم اللغات الأجنبية بالجزائر، وذلك لمكانتها التاريخية وترابطها الكولونيالي مع المجتمع الجزائري، وللفرنسية حالة ازدواج لغوي مع العربية العامية ومع اللغة الأمازيغية ليشكل المشهد تعددا غير معلن لكنه مجسد بقوة في الواقع اللغوي من خلال ظواهر التداخل والاقتراض والتوليد والترجمة وغيرها، مما خلق وضعا لغويا غير منتظم، ونتج عنه مفارقات غريبة ، إذ لا علاقة له بالوضع القانوني المنصوص عليه في الدستور والقوانين ، وصادق عليه البرلمان ، فماهو مكتوب على الورق غير مطابق لما هو في الواقع ، فالعربية هي اللغة الرسمية دستوريا إلى جانب الأمازيغية ولكن حضور الفرنسية يكاد يكون عاما في الإدارة والاقتصاد والتعليم

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

العالي وغيرها ، وجزء كبير من الإعلام المكتوب والسمعي البصري مما غدا له تأثير كبير في بناء تفاوتات لغوية واجتماعية .

4. 3 التعدد اللغوي في المملكة المغربية :

لا يختلف الواقع اللغوي في المغرب عن واقع الدول المغاربية الأخرى حيث يسود التعدد اللغوي في المملكة المغربية ، وتنتشر اللغة الأمازيغية والعربية إلى جانب الفرنسية ، والمازيغية تنقسم إلى ثلاث لهجات : تاريفيث في الشمال وتاشلحيث في الوسط وتاسوسيث في الجنوب، ويقوم البربر بالمطالبة بإحياء ثقافتهم ولغتهم مع المحافظة على العروبة والإسلام ، والأغلبية ترفض الدعاوى العرقية التي تبثها فرنسا في أوساط الناشطين من الأمازيغ وبعض المتفرنسين الطامحين إلى تمزيق المغرب وطمس هويته العربية والإسلامية(عبد العزيز، 2009، ص159).

يستعمل اللغة الفرنسية كثير من الناطقين في المغرب ممثلة في شرائح من المسلمين والبربر إضافة إلى شريحة أوروبية ويهودية ومغربية ، وتفيد الإحصاءات أن الفرنسية تمكنت فعلا على الأرض المغربية بشكل لم يسبق للغة أجنبية أن حققت ما يماثله بينما اللغة العربية الفصيحة في وضع غير مريح نتيجة تآكل وظائفها التدريجي ، واستنزاف نقط قواها الرمزية والنوعية والوظيفية ،وفقدانها لمواقعها تدريجيا لصالح الأجنبيات والعاميات ، وكون المسلمين من غير العرب تخلو عن تبنيها لغة لهم أو تخلو عن حرفها ، وكون عرب المهجر لا يستعملونها في بيئتهم خارج الوطن عموما(الفهري، 2013، ص278). (إن التعدد والتنوع الفعلي لا يهدف إلى إقامة فسيفساء لغوية دون التفكير في إمكان تدبيرها ، ولا يضر بلغة الأغلبية، إن هو اعتنى بلغة الأقلية ، ولا ينصب لغة أجنبية لغة عمل فعلية في بلد عربي) (الفهري، 2013، ص133). إن المغاربة متعددون لغويا ليس لهم لغة واحدة بل لغات ، وكذلك لهجات وسجلات لغوية متنوعة ، نجد العربية الفصيحة والوسيطة (عامية المثقفين) ، والدارجة والعامية بتنوعاتها حسب المناطق والطبقات الاجتماعية والأمازيغية بتنوعاتها : الشلحية والريفية والحسانية ، ونجد كذلك اللغات الأجنبية : الفرنسية والاسبانية والانجليزية وألسن الهوية محدودة في لسانين العربي والأمازيغي حيث إن حوالي 95 % ناطق باللسان العربي، و35 % ناطق باللسان الأمازيغي بتنوعاته، وينص الدستور على ضرورة دعم وتقوية هذين اللسانين.

4.4 التعدد اللغوي في تونس :

يتميز الوضع اللساني الحديث في تونس بتداخل لغوي معقد ولهذا التداخل مظهرين رئيسيين ، أولهما ثنائية لغوية بين العربية والفرنسية ، ويمكن أن يضاف إليها البربرية والانجليزية ، إلى جانب وجود ازدواجية لغوية في صميم العربية بين اللسان الفصيح واللهجة الدارجة المستعملة في الخطاب الشفوي في المعاملات اليومية ، وهي خالية من رسوم الكتابة ، وقد عرفت هذه العامية ترسبات قديمة بربرية ولاتينية ويونانية وإيطالية وإسبانية وتركية ، أما المستوى الفصيح فهو مستعمل في التعليم وفي المستوى المكتوب ، وقد ذكر ابراهيم بن مراد في كتابه : الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة (ص88) إحصاء عن المقترضات الأعجمية ، ونسبها في عربية الجنوب التونسي نذكر منها نقلا عن الحبيب النصراوي :

الفرنسية 148 كلمة = 21 %

اللاتينية 104 كلمة = 15 %

الأمازيغية 53 كلمة = 7.76%

التركية 29 كلمة = 4 %

الاسبانية 27 كلمة = 4 %

الإيطالية 25 كلمة = 3.66 %

إن وضع التعدد اللغوي يعود إلى جملة من التأثيرات الجيوسياسية والثقافية التي عرفتها المنطقة عبر التاريخ ، فقد تعاقبت على البلاد التونسية مجموعات سكانية مختلفة ، انضمت إلى العناصر البربرية الأصلية منذ العهد الفينيقي ، مما أدى إلى تفاعل اللغات وتنوعها وتعايشها ، فكان اللوبيون أسلاف الشعوب الأمازيغية الذين أطلق عليهم الإغريق تسمية Barbaroi وأطلق عليهم الفرنسيون تسمية Berbére ، وقد بدأ الفينيقيون يترددون على السواحل التونسية من الألف الثانية قبل الميلاد ، فانتشرت لغتهم البونية فتشكلت الثنائية اللغوية البونية الأمازيغية كما دلت النقوش والأعلام والمواقع ، والبونية لغة سامية ومن مواقعها : قفصة ، قابس ، بنزرت ، حيدرة ، ولما سقطت قرطاج على يد روما فرضت اللاتينية لغة رسمية في عدة قطاعات لكن في وضع ثنائي لغوي مع اللغة البونية وكذلك البربرية ، كما تثبت ذلك النقوش والعملات ، وظلت اللاتينية اللغة الرسمية طيلة ستة قرون ، واشتهر من أدبائها الذي كتب باللاتينية أبو ليوس المادوري(نصراوي، 2014، ص51). صاحب رواية الحمار الذهبي

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

وحسب القس سانت أوغسطين Saint Augustin ظلت البونية مستعملة في الممالك البربرية النوميدية عدة قرون ، وهكذا ظهرت اللاتينية الإفريقية وهي لغة مزيج من اللاتينية واليونانية والفينيقية .

وبعد الفتح الإسلامي تشكل تعدد لغوي ثلاثي يتكون من البربرية والعربية واللاتينية وتحمل العامية التونسية آثار الإغريقية في أسماء مثل : بلارج – عتروس – معدنوس – فلوس -

إن الوضع اللغوي التعددي ليس ثابتا بسبب الهجرات والحروب ، وإن انتشار العربية لم يكن أمرا يسيرا لعدة أسباب منها ضعف ا لعنصر العربي الذي لم يجاوز بضعة آلاف فلم يكن قادرا على فرض العربية لولا أسلمة البربر و قبولهم بثنائية لغوية عربية بربرية حيث كان هناك تعايش بينهما لغويا واجتماعيا ، وكان من نتائج التعريب الاجتماعي والعرقي تعريب لغوي ، فقد تحولت هذه الثنائية اللغوية بين العربية والبربرية إلى أحادية لغوية عربية بانضمام القبائل البربرية إلى العربية ، وأقبل البربر على لغة الإسلام والعلم ، وانحسرت الأمازيغية في المناطق البعيدة عن مراكز النشاط الفكري ، وكان لاعتناق البربر للإسلام دور في انتشار العربية وتراجع اللغات الأخرى ، حتى البربرية نفسها كانت على وشك الاندثار ، فعدد الناطقين بها اليوم في تونس لا يتجاوز 0.3%(نصراوي، 2014، ص59)، وبعد استقرار نسبي للعربية عاد الاحتكاك من جديد باللغات الأوروبية بواسطة لهجة الأندلس بسبب الهجرات المتتالية أهمها هجرة المورسكيين بعد سقوط غرناطة ، واستقرارهم في شمال افريقيا 1492م ، فاشتد الاحتكاك اللغوي بعوامل التواصل كالتجارة والحروب والصراع المسيحي الإسلامي والتوسع الإسباني التركي والتسابق الإيطالي الفرنسي على حوض المتوسط ، كل هذه الظروف تركت بصماتها اللغوية على لغة الاستعمال إلى اليوم مثبتة في أسماء الأعلام والمدن والزراعة والحِرف الخ ، وفي الأمثلة نذكر بعض الكلمات مثل : فيشطة – قمجة –صباط – قرداش...الخ ، وهذه الفسيفساء الإثنية في القرون الوسطى أدت إلى ظهور لغة هجينة Lingua Franca وكانت هذه اللغة تتخذ من الفرنسية أساسا لها ، ولكنها تخلطها بالإسبانية والموريسكية والإيطالية والكورسيكية والمالطية والبربرية والتركية والعربية والفرنسية ، وانتهت هذه السلسلة التاريخية إلى نفوذ اللغة الفرنسية في العامية المغاربية ، و كان تأثيرها أشد ، وقد فرضت نفسها على الواقع اللغوي وتوسعت على حساب العربية مما شكل ثنائية لغوية (عربية / فرنسية) وعامية عربية ، إن وضع اللغة الفرنسية في المغرب العربي يجاوز كونها لغة ثنائية إلى إحلالها أحيانا مكانة اللغة الوظيفية التي تنفرد بها اللغة العربية الرسمية استنادا إلى الدستور ، وهذا معناه الإقرار غير العلني بثنائية لغوية رسمية ، وقد تتحول هذه الثنائية أحيانا أخرى

إلى أحادية لغوية فرنسية في مجالات كثيرة منها : مجال المال والأعمال والمعلوماتية وغيرها . هذه الازدواجية الفاحشة التي تتحول أحيانا إلى أحادية لغة أجنبية لا تخفي استهتارا باللغة الوطنية وأبعادها الفكرية والثقافية .

4-5 التعدد اللغوي في موريتانيا :

تعد موريتانيا من المواطن العربية التي يوجد فيها أوضاع مختلطة يسودها التعدد اللغوي ، فنجد اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، وتوجد إلى جانبها اللغة الفرنسية وثلاث لغات محلية لها منزلة وطنية خاصة هي البولارية والسوثونكية والولوفية ، والدولة تعمل على ترسيم هذا الوضع وتأكيده في خططها وقراراتها التي صدرت في سنة 1973 و1979 ، وقد كان المخطط لما بعد عام 1985 أن تحتل اللغات الوطنية مكانها في النظام التعليمي بدل الفرنسية ، فيبدأ تعليمها في الصف الأول ابتدائي ، وتكون العربية هي اللغة المشتركة بين جميع التلاميذ ، وتأتي الفرنسية لغة أجنبية أولى ، وهناك من يرى احتمال تدريس واحدة من اللغات الوطنية الثلاث غير العربية ، على أساس اختياري لمن يتحدثون بالعربية لغة أصلية ، وقد قطع وضع المناهج المعربة وتوفير الكتب اللازمة لها شوطا ، وخارج إطار المدرسة في المجالين الثقافي والإداري كان إلى وقت قريب للفرنسية نفوذ كبير ، ومن ذلك أن الصحف كانت تصدر مناصفة بالفرنسية والعربية ، ولكن يبدو أن هذا النفوذ بدأ يقل تدريجيا بدليل أن صحيفة (الشعب) وهي الجريدة الموريتانية الرسمية كانت تصدر باللغة الفرنسية ، ثم صار إصدارها باللغة العربية(مركز دراسات الوحدة العربية، 1982، ص309).

5.مشكلات التعدد اللغوي :

التعدد اللغوي يؤدي إلى مشكلات خاصة لدى الأقليات العرقية واللغوية ، وهذه المشكلات مقسمة إلى نوعين : مشكلات تتعلق بالحكومات ومشكلات تتعلق بالأفراد .

إن مشكلة التعدد على مستوى الأفراد يمكن القضاء عليها أو تحجيمها إما بالاعتراف بلغة الأقلية لغة رسمية كالحال في كندا وبلجيكا ، أو شبه رسمية ، حيث توظف في بعض الشؤون المحلية أو الإعلام ...الخ ، أو من خلال برامج تعليمية أو تكون مقررا دراسيا فحسب ، على حين تكون لغة التعليم لغة الأغلبية(عبد العزيز، 2009، ص152).

أما مشكلات الدول فتتمثل في صعوبات التنوع اللغوي الإثني، فقد سعت الدول إلى إيجاد حلول، باستحداث الأبجديات أو الاعتراف بالتعددية اللغوية أو إقرارها دستوريا أو غيرها .

5 . 1 ترسيم التعدد اللغوي :

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

إن الإقرار بالوضع اللغوي التعددي هو من اختصاص البرلمان بمقتضى سلطته التشريعية ، حيث يفسح المجال للاعتراف لعدة لغات وثقافات أن تتعايش بصفة رسمية في مجتمع معين ، ومن ثم فإن المدرسة عليها أن تستجيب لمتطلبات الترسيم ، وتخضع للقرار السياسي ، بل إن الإقرار بالتعدد اللغوي يعد قضية وطنية في الأساس تخدم الوحدة الوطنية، بيد أن المدرسة باعتبارها مؤسسة رسمية تسهم كثيرا في تجسيد الطابع الرسمي للتعدد اللغوي. وكثيرا ما يستند قرار الترسيم إلى معيار الشيوع والاستعمال(مقران، ص11).

2-5 - تعليمية التعدد اللغوي :

هناك علاقة وطيدة بين التعدد اللغوي والعملية التعليمية ، لأن المدرسة تتكفل بمشاريع تعليم اللغات كما يرسمها التخطيط اللغوي بتعليم لغات وطنية ورسمية وأجنبية وكل ذلك له تأثيرات على المتعلمين والمجتمع ، وإن التساؤل المطروح هو هل بمجرد ما يتم إدراج أكثر من لغة في المنظومة التربوية والتعليمية لأي بلد يقضي بالحكم على ذلك البلد بأنه متعدد اللغات، إن الأمر ليس كذلك دائما ففي فرنسا مثلا لا يوجد فيها تعدد لغوي، وإن الدولة تعمل على أحادية اللغة ،على الرغم من عدد اللغات الكثيرة التي تدرس في جميع الأطوار، فذلك لا يعد بالعدد الكافي للحكم على وضعها بالتعدد اللغوي .

ينبغي مراقبة المتعلم ومعرفة مدى إقباله على تقبل التعدد ومعرفة مشكلاته وصعوباته ومكتسباته وامتلاك المهارات .

إن الثنائية في النظام التعليمي لا ينتج إلا متعلما تائها بين التعريب والفرنسة، وينشأ على أفكار مبعثرة بين الثقافتين الوطنية والأجنبية ، مما ينتج عنه استلاب ثقافي للمتعلم .

إن ظاهرة التضخم اللغوي الناتج عن التعدد يعد مشكلة بالنسبة للطفل لثقل حمولتها على ذهنه ، فيرهق بامتلاك تعدد لغوي في الاستعمال اليومي ، ويذهب الدكتور صالح بلعيد مذهبا بعيدا في تحليل الوضع الخاص بالطفل الجزائري في ظل التعدد واللغة الأم بقوله : "إن الطفل الجزائري في أي منطقة كان، فهو إما أحادي اللغة وثنائي التأدية (عربية دارجة + عربية فصحى)، أو ثنائي اللغة (عربية فصحى + فرنسية) أو ثنائي اللغة (أمازيغية + عربية دارجة و(عربية فصحى)) أو ثلاثي اللغة (أمازيغية + عربية دارجة و(عربية فصحى) + فرنسية)، ويعد الأمازيغ حقيقة متعددي اللغات بمن فيهم الأميون، لأن التعدد يرتبط بالكلام دون المؤهلات اللغوية والخصائص الفكرية(خلادي، ص93).

3-5 التعدد اللغوي ووحدة التفكير:

يطرح الاهتمام بمعينات الوحدة الفكرية اللغوية، فقد يكون هناك تعدد لساني سلبي وهو الذي ينجم عنه تشتيت التفكير اللغوي وتنافر اجتماعي مقيت، وفي مقابل ذلك يوجد التعدد اللساني الإيجابي، وهو الذي يهدف إلى المحافظة على الأبعاد الوطنية والحضارية والثقافية لتحقيق انسجام اجتماعي بفضل وحدة التفكير ، والتعدد المقصود هو الفكري واللغوي؛ لأن اللغة هي نتاج عملية تفكيرية عقلية إنسانية .

لقد شاع التعدد اللغوي في الجزائر منذ العصور القديمة وتراكمت الترسبات اللغوية وكثر الاقتراض من لغات الشعوب الغازية، وفي بداية العصر الحديث كان المجتمع يستعمل العربية والأمازيغية واللهجات العامية ولغات أخرى ، أما العربية الفصحى فكانت لغة العلم والدين والثقافة ، فقد أسهمت مدارس جمعية العلماء في تعليم اللغة ونشرها وحفظ متونها ونشر استعمالها من خلال الخطب والصحف والإعلام وتحفيظ القرآن لأن اللغة القومية هي أداة اتصال وتفاهم بين أفراد الشعب الواحد، فهي أقوى الروابط على توحيد الفكر بين أفراده، أما الفرنسية في العهد الاستعماري فقد كانت اللغة الرسمية الوحيدة في الإدارة والتعليم والاقتصاد والسياسة لا ينافسها في ذلك أية لغة(حاج صالح، ص287) ، وبذلك كان لزاما على أفراد المجتمع الجزائري تعلم هذه اللغة ومعرفتها للتعامل بها، ومن ثم نشأ هذا التعدد.

4-5 الإقتصاد والتعدد اللغوي :

يعتبر العامل الاقتصادي منشطا للتفاعل اللغوي ومحركا للتواصل الاجتماعي، فلولا زخم التجارة الدولية والتعاملات الاقتصادية لما فسح المجال للتعدد اللغوي (فالتجارة الدولية تعزز انتشار لغات وخفوت أخرى).(الفهري، 2013، ص256)

وبسبب التجارة ظهرت في المنطقة المتوسطية لغة فرنكية مشتركة Lingua franca في القرون الوسطى كشاهد على وجود لغة أعمال متعددة المصادر، وإن بنيت أساسا على الأصول الرومانية، ولكنها تضم عناصر من العربية والفارسية والإغريقية، واستمر هذا الوضع إلى عصرنا الحالي الذي أصبحت فيه الإنجليزية هي اللغة الفرنكية بامتياز ممثلة لتجانس التواصل الكوني في المجال الاقتصادي ، فلقد أصبح التعدد اللغوي ضروريا لأن التواصل اللائق لاستهداف الأسواق على المستوى القاري يخلق الامتيازات التنافسية، وكشفت دراسة ELAN أن 945000 مقاولة صغيرة أو متوسطة

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

بأوروبا ستفقد أسواقا تجارية نتيجة نقص في القدرات اللغوية، وهو ما يعتبر دعوة صارخة لتبني التعدد اللغوي في توجهات الأعمال والتجارة المستقبلية (الفهري، 2013، ص258) .

5-5 العولمة وأثرها في التعدد اللغوي :

تسعى اللغة العربية إلى فرض وجودها وإظهار حضورها وسط زحام اللغات من خلال مواكبة التكنولوجيا والشبكات التواصلية، فقد حققت مراتب جيدة من حيث عدد المتكلمين بها ومن حيث الحضور على الأنترنت، فينبغي أن تحافظ على موقعها وتسعى لتحقيق المزيد من المكاسب في ظل التعدد اللغوي ، حتى تحافظ على التعدد الذي يؤدي إلى توحيد النطق والفكر معا.

لقد مر المجتمع الجزائري بتحولات بعد الاستقلال جعلت الواقع الجزائري المتعدد اللغة يتسم بالتعقيد نتيجة استخدام مختلط للغة العربية والفرنسية والأمازيغية والدارجات كتابة ونطقا بين أفراد المجتمع الواحد.

6. خاتمة

في ختام هذه الدراسة يتضح لنا أن التعدد اللغوي هو ظاهرة طبيعية في المجتمعات ، وهو استعمال لغات عديدة داخل مجتمع معين، وهذا يجسد الانفتاح على الثقافات الأجنبية وتوسيع دائرة التفكير اللغوي ، وعلى الرغم من الإيجابيات الكثيرة لظاهرة التعدد اللغوي إلا أن الدول الكبرى المتقدمة تعمل على الحد من انتشار هذه الظاهرة، وحصر الاستعمال في لغة وطنية واحدة. وإن المغاربة متعددون لغويا، ليس لهم لغة واحدة بل لغات، وكذلك لهجات وسجلات لغوية متنوعة : نجد العربية الفصيحة ونجد العربية الوسيطة وهي عامية المثقفين، ونجد العامية الدارجة بتنوعاتها حسب المناطق والطبقات الاجتماعية، ونجد الأمازيغية بتنوعاتها، ونجد اللغات الأجنبية الفرنسية والإسبانية والإنجليزية، والتعددية اللغوية إن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى معرفة الإنسانية فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلك التعدد اللغوي مسلكا إيديولوجيا سياسيا تحت أقنعة مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب، فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعماري في شكله الجديد، وأما ألسن الهوية مغاربيا فهي محدودة في لسانين العربي والأمازيغي، وتنص الدساتير على ضرورة دعم وتقوية هذين اللسانين وأن يكون هناك تعايش بينهما وأن تعمل الدولة على حمايتهما في إطار من التخطيط اللغوي. وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

7.خلاصة النتائج :

1- اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلدان المغاربية
2- اللغة العربية هي لغة وطنية
3- تمثل اللغة العربية اللغة البينية الوحيدة التي تمكن من التواصل الشامل بين الأقطار العربية والمغاربية
4- التعدد اللغوي وضع تشترك فيه جميع الدول المغاربية مع تفاوت بينها
5- يجب أن تدرس اللغة الأجنبية باعتبارها لغة وظيفية تستجيب لحاجات التلميذ ، حيث يؤثر تعلم لغة ثانية (تعدد) على تحسين مهارات التواصل والانفتاح على مهارات أخرى
6- بالنسبة للعالم العربي ينبغي أن يكون هناك تعدد لغوي محدد المعالم تكون فيه العربية لغة التواصل الموحدة.
7- البعد الاقتصادي يؤيد فكرة التعدد اللغوي باتخاذه وسيلة للمنفعة والتبادل الاقتصادي.

8.قائمة المراجع

1- العشيري ، محمد نافع ، 2016. مفاهيم وقضايا سوسيولسانية ،ط1،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن .
2- الفهري، عبد القادر الفاسي، 2013 ،السياسة اللغوية في البلاد العربية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت
3- النصراوي ، الحبيب ،2014 العربية الحديثة في تونس مركز النشر الجامعي ،
4- بولعوالي التيجاني ، راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة ، افريقيا الشرق
5- حاج صالح، عبد الرحمن ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، دار موفم للطباعة والنشر
6- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية ط1 / 1982..(مركز دراسات الوحدة العربية).بيروت
7- عبد العزيز ، محمد حسن. 2009 علم اللغة الاجتماعي، ط1،مكتبة الآداب، القاهرة .
8- غلاب، عبد الكريم، التعريب ودوره في حركات التحرر في المغرب العربي ، من كتاب : التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية .
9- المجلس الأعلى للغة العربية ، 2014.كتاب الملتقى : التعدد اللساني واللغة الجامعة ، الجزائر.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894